Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥

توضّح الرسالة الشهيرة التي كتبها كافكا والتي لم يرسلها لأبيه، على نحو ممتاز، أن كافكا قد استخلص من الأسرة ومن العلاقة بين الطفل وسلطة الأبوين المقدسة، معرفته **بتقنية الشعور بالذنب** التي صارت إحدى كبرى ثيمات رواياته. ففي قصة **الحكم**، وهي قصة شديدة الصلة بتجربة المؤلف العائلية، يتهم الأب ابنه ويأمره أن يغرق نفسه. يقبل الابن ذنبه الخيالي، ويذهب ليلقي بنفسه في النهر طواعية شأن خَلَفِهِ فيما بعد، جوزيف ك الذي سيذهب، بعد أن أدانته منظمة غامضة، لذبح نفسه. يفضح الشبه بين الاتهامين، والتجريمين، وتنفيذ الحكمين، الاستمرارية التي تربط في مبدع كافكا بين «الشمولية» العائلية الحميمة و«شمولية» رؤاه الاجتماعية الكبرى.

ينزع المجتمع الشمولي، ولا سيما في تجلياته القصوى، إلى مسح الحدود بين العام والخاص؛ وتُطالب السلطة التي تصير معتمة أكثر فأكثر أن تكون حياة المواطنين شفافة إلى أقصى حد. هذا المثل الأعلى الذي يتجلى في **حياة بلا أسرار** يتطابق والمثل الأعلى الذي يتجلى في أسرة نموذجية: فلا يحق للمواطن أن يخفي شيئاً أمام الحزب أو الدولة، شأن الطفل الذي لا يحق له أن تكون له أسراره في مواجهة أمه أو أبيه. والمجتمعات الشمولية تبدي، في ما تروجه عن نفسها، ابتسامة مثلى: فهي تريد الظهور بوصفها «أسرة كبيرة واحدة».

يقال غالباً إن روايات كافكا تعبّر عن الرغبة الجامحة بالجماعة وبالاتصال الإنساني: ويبدو أن الكائن المخلوع من جذوره الذي كانه ك لا هدف له إلا: التغلّب على لعنة عزلته. غير أن هذا التفسير ليس قولاً مكروراً أو اختصاراً للمعنى فحسب، بل هو مضاد للمعنى أيضاً.